الأوزان العَرُوضية المخْتَرَعَة من خلال موشحات ابن سناء الملك

*د. عبد العزيز الطالبي

تاريخ الاستلام: 21 /1/ 2024 إجازة النشر:6/ 3/ 2024 تاريخ النشر: 1/5/ 2024

المستخلص: انصبت هذه الدراسة على إحدى القضايا المرتبطة بفنون القول الموزون عند العرب؛ والمتمثلة في التجديد من حيث موسيقى إيقاعه العَرُوضي؛ فقد حاولت الكشف عن بعض الأوزان العروضية المخترَعة (المستحدَثة)، وطبيعتِها في فن الموشحات تحديدا.

وحتى يتأتى لنا ذلك، اعتمدنا مجموعة من موشحات ابن سناء الملك الواردة في كتابه «دار الطراز في عمل الموشحات» أرضية للبحث؛ وذلك من خلال مقاربتها وفق منظور عروضي تطبيقي، علاوة على منهج استقرائي من شأنه تسهيل الوصول إلى معطيات قد تكون قابلة للتعميم.

وقد انتهت الدراسة إلى جملة من النتائج المرتبطة بالتجديد الإيقاعي العَرُوضي المتعلق بفن الموشحات؛ أهمها التجديد من حيث تقنية الجَزْء المعروفة عند العروضيين، علاوة على الوقوف عند عدد من الأوزان العروضية المخترَعة التي يمكن رد بعضها إلى الأوزان الخليلية الكلاسيكية.

الكلمات المفتاحية: الأوزان العروضية، الوزن المخترع، الوزن المعروف، فن الموشحات، التغييرات العروضية.

The modern prosody rhythms through Ibn Sanaa Elmolk's Mowashahat

Abdelaziz Talbi
Doctorate in Arabic language ,Arabic prosody, Professor of Arabic language
Ministry of National Education,Morocco

Abstract: This search concerned about one of rhythmic speech arts at arabs issue, which specified in music of poetry. It aimed to detection of some modern prosody rhythms, and its natural. All that through "almowashahat" art.

The search adopted a lot of Ibn Sanaa Elmolk's mowachahat for analyzing through prosody and descriptive study, and inductive approach which can giving a lot of general results.

Finally, this search concluded to a lot of important results about music of the almowachahat; like what concerning about fragmentation technique of poetry at prosody researchers, and finding a lot of modern prosody rhythms concerning almowachahat.

Keywords: Prosody rhythms, Modern rhythm, familiar rhythm, Almowashahat art, Prosody changes.

مقدمة:

كان الشعر أهم الأجناس الأدبية عند العرب قديما؛ فقد كان بالنسبة إليهم الديوان الجامع لأمجادهم، ووقائعهم، وأنسابهم، ... وبعد تأسيس علوم العربية، شكل الشعر لدى النقاد والدارسين العرب موضوعا للدرس والتحليل من مختلف جوانبه إلى حدود القرن الرابع الهجري تحديدا؛ حيث ظهر في بلاد الأندلس أحد فنون القول الموزون سُمي الموشحات؛ هذا الفن الذي أعلن ثورة تمرد غير مسبوقة على فن الشعر العربي من ناحيتي الشكل والإيقاع العَرُوضي أساسا؛ فقد ذهب الوَشَّاح إلى الخروج عن قواعد القصيدة العربية القديمة شكلا، من خلال ابتكار شكل آخر ذي اصطلاحات جديدة؛ وإيقاعا، من خلال إحداث تغيير في أوزان الخليل العروضية المعروفة، أو تجاوزها بابتكار أوزان جديدة.

لقد شكل ما سبق ذكره سياقا أدبيا علميا فرض نقل زاوية النظر إلى كلام العرب الموزون (الشعر تحديدا) من عَدِّه متنا للدرس والتحليل والاستنباط، إلى جعله صرحا أدبيا قابلا للهدم، وإعادة البناء بطرائق وأساليب مستحدثة. وهكذا تحقق التمرد على القصيدة العربية القديمة؛ حيث تُجُووِز شكلها القائم على ما يسمى البيت الشعري ذا الشطرين المتناظرين باختراع شكل جديد بديل؛ علاوة على تجاوز نظامها الإيقاعي العَرُوضي القائم على الوحدة والثبات من خلال التغيير، والتنويع، والاختراع؛ فجاءت الثورة على الشعر، هنا، من باب فن الموشحات، شكلية إيقاعية بامتياز.

* دكتوراه في اللغة العربية، التخصص الدقيق: علم العَرُوض، وزارة التربية الوطنية، المغرب Azyztalby@gmail.com

بناء على سبق، ستحاول هذه الدراسة الوقوف عند جانب من مظاهر الثورة الإيقاعية العروضية لفن الموشحات على فن الشعر؛ وذلك من خلال محاولة الوقوف عند بعض الأوزان العروضية التي استحدثها هذا الفن. وسنعتمد، من أجل ذلك، على إحدى عشرة موشحة للوشاح والناقد ابن سناء الملك صاحب كتاب «دار الطراز في عمل الموشحات» الذي يعد أهم مرجع فيما يخص إيقاع فن الموشحات؛ وقد وسم المصنف هذه الموشحات بعنوان يشير إلى أنها مخْتَرَعَة الأوزان؛ أي أنها على غير الأوزان التقليدية التي وضعها الخليل بن أحمد؛ وهو ما يدعو إلى استحضار إشكالية طبيعة هذه الأوزان، ومدى كونها مخترعة أو مستحدثة مقارنة بأوزان الشعر العربي المعروفة. ونفترض، في هذا السياق، أن تكون الأوزان العروضية المستحدَثة من خلال موشحات ابن سناء قريبة من أوزان الخليل، أو محيلة إليها ولو بشكل عابر؛ نظرا إلى كون علم العروض ثابتا يصعب الخروج عنه بصورة مطلقة.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسة ستكون تطبيقية وصفية، تعتمد المنهج الاستقرائي الذي يخول الوصول إلى معطيات عامة؛ وسيشمل التطبيق والوصف مطالع الموشحات، فقط، كما سيتبين لاحقا.

1- المقصود من فن الموشحات وباعث نشأته:

يُقصد من الموشحات ذلك الفن من فنون القول الموزونة الذي ظهر في بلاد الأندلس، وشاع بين أهاليها شيوعا كبيرا؛ فهي كما يقول ابن بسام: «أوزان كثر استعمال أهل الأندلس لها في غرض الغزل والنسيب» (الشنتريني، د. ت، صفحة 469). وقد فصل ابن خلدون في تعريفها أكثر لما أرجع باعث نشأتها إلى الانتشار الواسع للشعر في بلاد الأندلس، وتطوره من حيث اتجاهاته وصناعته، علاوة على إشارته إلى بنائها الشكلي؛ حيث تتكون من الأغصان، والأبيات، والأسماط (خلدون، 2004م، صفحة 425).

2- نشأة فن الموشحات بين المشرق والمغرب:

تضاربت الآراء بخصوص مكان نشأة فن الموشحات بين المشرق والمغرب؛ حيث إن هناك من الدارسين من يرجعه إلى المشرق مستندا، في ذلك، إلى كون ابن المعتز أول من كتب هذا الفن من خلال نسبة موشحة «أيها الساقي» إليه. ومن جهة أخرى، منهم من يراها مغربية، فينسب الموشحة المذكورة إلى أبي بكر بن زهر الأندلسي. غير أنه يكاد يحصل اتفاق، بين السواد الأعظم من الدارسين، على مغربية الموشحات من حيث النشأة (عناني، 1998م، صفحة 14) (عباسة، 2012م، صفحة 52).

وتضاربت الآراء، كذلك، بخصوص أول من كتب هذا الفن؛ فقد حصر الباحثون ذلك في اسمين هما: محمد بن محمود القبري، ومقدم بن معافى القبري، علاوة على اسم ثالث وهو ابن عبد ربه الذي أشار إليه ابن خلدون في معرض حديثه عن الموشحات في «مقدمته». لكن هؤلاء لم يصلنا شيء مما كتبوه، ولعل أول من وصلنا شيء مما كتبه، في هذا الفن، هو عبادة بن ماء السماء كما يزعم صاحب «الذخيرة» وغيره (الشنتريني، د. ت) (خلدون، 2004م).

3- البناء الشكلي والإيقاعي لفن الموشحات:

تُبنى الموشحات وفق عدد من الأجزاء ينفرد كل منها باصطلاح معين، وقد أشار ابن خلدون إلى بعضها فيما أوردنا سلفا، ويمكن إجمالها فيما يأتي: المطلع، والبيت، والقُفل، والجُزء، والخَرجة، وإن كان في بعض الاصطلاحات نوع من الاختلاف (عباسة، 2012م، الصفحات 63- 73). وينقسم الموشح، بحسب المطلع، إلى قسمين: التام؛ وهو الذي جاء مشتملا عليه، والأقرع؛ وهو الذي يجيء من دونه.

وأما من حيث الإيقاع العروضي، فإن الموشحات انقسمت إلى قسمين: قسم جاء وفق أوزان الشعر المعروفة، وقسم لا علاقة له بتلك الأوزان (الجراري، 1973م، الصفحات 27- 29). ويتفرع القسم الأول، بدوره، إلى قسمين: قسم جاء، تماما، على أوزان الشعر؛ وهو القسم الذي رفضه ابن سناء الملك، وقسم آخر يخرج عن أوزان الشعر بزيادة حركة، أو كلمة، أو تفعيلة، وهو المستساغ عنده (الملك، 2001م، الصفحات 43- 46).

4- طبيعة الأوزان العروضية في موشحات ابن سناء الملك[1] من خلال كتابه (دار الطراز في عمل الموشحات):

– الموشحة الأولى (الملك، 2001م، صفحة 156):

يقول الوشاح في مطلعها:

أَرى نَفْسي لِقَلْبِي وَاهِبهْ وَلَمْ تَحْفِلْ بِحسْنِ الْعاقِبهْ فَـأَحْـــداقُ الْمَـهـا
أَشارتْ بِالغرامْ وَعِصْيانِ المِلامْ فَقالَتْ مُهْجَتِي نَعَمْ يا مُنْيَتي
نعمْ أَنْـتِ الَّـتِي بِها دَارُ الهَـوَى دارُ النَّعيمْ وَمِنْ أَسْقَامِهَا بَرْءُ السَّقمْ
أَتَـاني اللَّـوْمُ فِـيهِمْ ثُـمَّ زَالْ وَصَادَ جَوَانِحِي مِنْهُمْ وَصَالْ
غَـزَالٌ مِنْـهُ يَغْتَـاظُ الْغزالْ وَمِـنْـهُ نَـالَـهُ ذَاكَ الْهُـزالْ
وَشَمْسُ الْأُفْقِ مِنْهُ شَاحِبهْ وَقَدْ يغْنِيكَ عَنْها غَائبهْ وَيـنْـسِـيـكَ اسْمَهـا
كَذَا بَدْر التَّمَامْ تَرَاهُ[ii] بِالسَّقـامْ كَئيبَ الْـوَجْنةِ كَثيـرَ الْكُلْفةِ
قَلِيلَ الْبَـهْـجَـةِ وَتَحْسبُ أَنّ عَرْجُونًا قَديمْ كَغُصْنٍ فِي غَلَائِلِهِ قَـوِيمْ

– التفاعيل:

مفاعلْتن[iii] مفاعلْتن فعو مفاعلْتن مفاعلْتن فعو مفاعلْتن فعو
مفاعلْتن فعولْ مفاعلْتن فعولْ مفاعلْتن فعو مفاعلْتن فعو
مفاعلْتن فعـو مفاعلْتن مفاعلْتن فعولْ مفاعلْتن مفاعلْتن فعولْ
مفاعلْتن مفاعلْتن فعولْ مفاعلَتن مفاعلْتن فعولْ
مفاعلْتن مفاعلْتن فعولْ مفاعلتن مفاعلْتن فعولْ
مفاعلْتن مفاعلْتن فعو مفاعلْتن مفاعلْتن فعو مفاعلْتن فعو
مفاعلْتن فعولْ مفاعلْتن فعولْ مفاعلْتن فعو مفاعلْتن فعو
مفاعلْتن فعـو مفاعلَتن مفاعلْتن فعولْ مفاعلْتن مفاعلَتن فعولْ

نظم ابن سناء الملك هذه الموشحة وفق نسق إيقاعي عروضي يأتي مرة (مفاعلتن مفاعلتن فعولن)، ومرة أخرى (مفاعلتن فعولن) مع بعض التغييرات العروضية[iv]. ولا يبدو هذا وزنا مخترعا بالتمعن فيه، وإنما هو وزن بحر الوافر[v] كما تُبين الأجزاء أعلاه. ويمكن تَبَيُّن أحوال هذا الوزن وغيره من الأوزان العروضية التي سيُشار إليها في متن هذه الدراسة، وما يلحقها من تغييرات عروضية سيُحال إليها في هوامش الدراسة، من خلال مختلف كتب علم العروض العربي قديمها وحديثها (التبريزي، 1994م) (الهاشمي، د. ت) (عتيق، 1987م) (عبداللطيف، 1990م).

ولعل أهم ما يمكن أن نصفه، هنا، بالمخترَع هو مجيء بعض الأجزاء من الموشحة على وزن (مفاعلتن فعولْ/ فعُو)، والذي لو قارناه بوزن الوافر، لوجدناه هو نفسه حُذفت منه التفعيلة الأولى (مفاعلتن)؛ مما يدعونا إلى القول إن الوشاح، هنا، استعمل الوافر مجزوءا[vi]، لكن بطريقة غير تلك التي جَرَأ بها الشعراء؛ فإذا جعله هؤلاء مجزوءا بحذف التفعيلة الأخيرة منه (فعولن)، فإن ابن سناء الملك جعله كذلكَ بحذف التفعيلة الأولى (مفاعلتن)؛ وهذا مبرر مجيء بعض الأجزاء على (مفاعلتن فعولْ/ فعو).

– الموشحة الثانية (الملك، 2001م، صفحة 158):

يقول الوشاح في بدايتها:

أَهْوى قَمَرْ أَحْوَى أَغَرّ حُلْوَ الرُّضَابِ أَلْمَى
وَعَـاذِلِي لَمَّا نَهَى عَنِ التَّصَابِي أَعْمَى
الْبَسْ ضَنَاكَ جَهْراً وَاكْتُمْ هَوَاكَ سِرّا
وَأَذْرِ الـدُّمُـوعَ تِبْراً وَارْمِ الْعُذُولَ بَـرّا

فلَـوْ نَـظَـرْ كَــانَ أمـرْ بِضعْفِ ما بِي حَتْمَا
وَمَا نَهَى بَلْ كَانَ قَدْ عَدَّ مُصابِي إثْـمَـا

– التفاعيل:

مستفعلن مستفعلن مستفعلاتن مستفْـ
متفعلن مستفعلن متفعلاتـن مستفْـ
مستفعلن فعولن مستفعلن فعولــن
مستفعلن فعولن مستفعلن فعولــن
متفعلــن مسْتعلـن متفعلاتــن مستفْـ
متفعلن مستفعلن مستعلاتن مستفْـ

نظم ابن سناء الملك هذه الموشحة معتمدا وزن بحر الرجز[vii]؛ حيث كرر تفعيلته (مستفعلن) اثنتي عشرة مرة في الأقفال، وثماني مرات في الأبيات، مع عدد من التغييرات العروضية[viii]. وقد يوهم وجود النسق الإيقاعي (مستفعلن فعولن) أعلاه بأن الوشاح نظمها على وزن مخترع؛ نظرا إلى وجود تفعيلة (فعولن)، لكن الأمر ليس كذلك؛ فأصل هذه التفعيلة إنما هو (مستفعلن) لحقها تغييران عروضيان[ix]؛ فصيراها كذلك. والتفعيلة (مستفعلن)، نفسها، تأتي في بعض المواضع من الموشحة على شاكلة (مسْتفْعِلْ)[x]؛ فمن ذلك قوله (الملك، 2001م، صفحة 158):

وَغَـادَةٍ مُـحْتَـالَـهْ مَا صَلُحَتْ إلَّا لَهْ
متفْعلن مسْتَفْعِلْ مسْتعلن مسْتَفْعلْ

وهذا ما يبرر ادعاءنا أن أصل (فعولن) في الموشحة إنما هو (مستفعلن)؛ إذ لو لم يكن الأمر كذلك، لالتزم الوشاح (فعولن) في الموشحة بأكملها؛ وبناء على هذا، يبدو أن ابن سناء الملك، هنا، قد اخترع شكلا عروضياً لا وزنا.

– الموشحة الثالثة (الملك، 2001م، صفحة 160):

يقول في مستهلها:

قدَ سَبَى عَقْلي ذَا الفَتي وَبِقتْلي أَفْتَـى
يَا لَهُ[xi] مَوْلَى قَدْ قَدَرْ
وبِمَا يهْوى قـدْ أَمَـرْ
نُورُهُ قَدْ أخْفَى القمَرْ
خَدُّهُ قَدْ أَذْوَى الـزَّهرْ
حُسْنُهُ فِينَا قَـدْ عَـتَـا وَتَعَدَّى النَّعْتَا

– التفاعيل:

فَاعِلاتُن مستفعلن فعِلاتن مُسْتَفْ
فاعلاتن مستفعلن
فعلاتن مستفعلـن
فاعلاتن مستفعلن
فاعلاتن مستفعلن
فاعلاتن مستفعلن فعلاتن مستفْ

نظم ابن سناء الملك موشحته هاته على وزن مخترع، (فاعلاتن مستفعلن)، مع بعض التغييرات العروضية[xii] كما يتضح أعلاه؛ وهو وزن يحيل القارئ العارف بموسيقى الشعر إلى وزن بحر الخفيف[xiii] من حيث مجزوؤه[xiv]؛ فكأن الوشاح، هنا، نظم موشحته على مجزوء هذا البحر، لكنه استبدل منه (مستفعِ لن) ذات الوتد المفروق بـ (مستفعلن) ذات الوتد المجموع.

ويؤكد استعمال الوشاح (مستفعلن) ذات الوتد المجموع، من دون مثيلتها ذات الوتد المفروق، مجيءُ التفعيلة الأخيرة من الأقفال (حَذَّاء)، وهو ما لا يمكن حصوله لو استعمل (مستفع لن) ذات الوتد المفروق[xv]؛ وبناء على ذلك، يمكن القول إن الوشاح لم يعتمد مجزوء الخفيف، وإنما اعتمد وزنا آخر مخترعا.

– الموشحة الرابعة (الملك، 2001م، صفحة 162):

قال في مبدئها:

أَوْقِدْ لنَا النّارَ الّتِي تُطْفِئ نارَ الْحُزْنِ
نَاراً كَمِثْلِ الجنَّةِ فِي طِيبِها والحسْنِ
وَاعْقِدْ لِبِنْتِ الْكرْمَةِ عِقْداً عَلَى ابْنِ الْمُزْنِ
وَاطْلِقْ سَرَاحَ الْخَمْرةِ مِنْ سِجْنِها فِي الدَّنِّ
شُعَاعُها بِكَفِّي يُخْرِجُنِي مِنْ إِلْفِي وَقَدْ شَرِبْتُها كَيْ
تُوقِعَنِي فِي سَكْرَةٍ تَجْذِبُنِي بِعَطْفِي

– التفاعيل:

مستفعلن مستفعلن مفتعلن مستفعلْ
مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلْ
مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلْ
مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلْ
متفعلن متفعلْ مستعلن مستفعلْ متفعلن متفعلْ
مستعلن مستفعلن مستعلن متفعلْ

نُظمت هذه الموشحة على وزن بحر الرجز[xvi]، من خلال مجزوئه، مع بعض التغييرات العروضية[xvii]. ولا وجود لأي إشارة إلى الاختراع، من حيث الوزن، فيها إلا في البيت الرابع من خلال قوله (الملك، 2001م، صفحة 143):

قلْبِيَ وَهْوَ الشَّاهِدُ أنّي بِغَيْرِ قَلْبيْنِ
فَكَيْفَ وَهْوَ وَاحِدُ يَهْوى وِصالَ اثْنيْنِ
مَا هُوَّ إلَّا مَارِدُ وَقائِدٌ إلى الْحَيْنِ
اَلجَمْرُ فيهِ[xviii] وَاقِدُ يَوْم اللِّقا والْبيْنِ

– التفاعيل:

مسْتعِلن مستفعلن مستفعلن مفاعيلن
متفعلن متفعلن مستفعلن مستفعلْ
مستفعلن مستفعلن متفعلن مفاعيلن
مستفعلن مستفعلن مستفعلن مستفعلْ

حيث إن الشاهد فيه هو استعمال الوشاح تفعيلة (مفاعيلن) بدلا من (مستفعلن) في آخر الجزأين الأول والثالث كما يتضح؛ وبناء على ذلك يمكن القول إن ابن سناء الملك، في هذه الموشحة، لم يخترع وزنا عروضيا، وإنما أقحم إحدى التفاعيل العروضية (مفاعيلن) في وزن عروضي معهود (الرجز).

– الموشحة الخامسة (الملك، 2001م، صفحة 164):

يقول في مطلعها:

عَطَفَتْ وَلَكِنْ هُجْرَانَا وَحَبَتْ وَلَكِنْ أَشْجَانَا
قَبَّحَتْ عَلَيَّ الْمَليحَهْ إِذْ غَدَتْ بِوَصْلِي شِحِيحَهْ
أَسْقَمَتْ ضُلُوعاً صَحِيحَهْ لَوْ أَتَتْ لَكَانَتْ مَسِيحَهْ
وَشَفَتْ جُفُوناً قَرِيحَهْ
ذَرَفَتْ عَلَيْهَا أَلْوانَا سَحَبَتْ بِخَدِّي أَدْرَانَا

– التفاعيل:

فَعِلُنْ فعولن مستفعلْ فَعِلُن فعولن مستفعلْ
فاعلن فعولن فعولن فاعلن فعولن فعولن
فاعلن فعولن فعولن فاعلن فعولن فعولن
فعلن فعولن فعولن
فَعِلُن فعولن مستفعلْ فَعِلُن فعولن مستفعلْ

نظم ابن سناء الملك هذه الموشحة وفق وزن عروضي مخترع؛ حيث جاءت الأقفال على النسق الإيقاعي الآتي: (فاعلن/ فعولن مستفعلن)، والأبيات على آخر كالآتي: (فاعلن فعولن فعولن) مع بعض التغييرات العروضية[xix]؛ وهو ما يدل على أن الوشاح قد اخترع للأقفال وزنا، وللأبيات آخر. ويبدو هذا الوزن المخترع، عامة، مزيجا من بحري المتقارب والمتدارك[xx] خاصة.

– الموشحة السادسة (الملك، 2001م، صفحة 165):

جاء في مستهلها:

منَ يَشْتريكْ بِالْبَدْرِ لَا الْبَدْرَهْ فقَدْ تَوَلَّى الْأَمْرَ وَالْإِمْرَهْ علَى الْأَممْ
مَا أَعْجَبَا حُسْنَكَ يَا أَسْما
وَأَعْذَبا مَرْشَفَكَ الْأَلْمَى
قَدْ أَعْرَبَا وَجْدُ الحَشا لَمَّا
أَعْربَ فِيكْ جَفْنٌ بِهِ[xxi] فَتْرهْ وَفِيهِ جَيْشٌ كَمْ لَه كَسْرَهْ وَمَا انْهزَمْ

– التفاعيل:

مستفعلان مستفعلن مفعو متفعلن مستفعلن مفعو متفعلن
مستفعلن مستعلن مفعو
متفعلن مستعلن مفعو
مستفعلن مستفعلن مفعو
مسْتعِلان مستفعلن مفعو متفعلن مستفعلن مفعو متفعلن

نظم ابن سناء الملك هذه الموشحة على وزن بحر السريع[xxii] مع عدد من التغييرات العروضية[xxiii]، وباستثناء زيادته تفعيلة الرجز (مستفعلن) في أواخر الأقفال، فلا وجود لأي إشارة تدل على أنه اخترع، هاهنا، وزنا عروضيا. ورغم ذلك، فهناك افتراض

يمكن الادعاء، من خلاله، أن هذا الوزن مخترع؛ مفاده أن ابن سناء الملك قد استعمل وزنا أصله: (مستفعلن مستفعلن متفاعلن)، فألحق بالتفعيلة الأخيرة منه تغييرين عروضيين[xxiv]؛ فصارت (مفعو) التي أصلها (مُتْفَا).

– الموشحة السابعة (الملك، 2001م، صفحة 167):

يقول الوشاح في مستهلها:

يَا وجْنَةَ الْوَرْدِ أَوْ يا قـامَـةَ الْآسِ مَا الناسُ إنْ لَمْ يَهِيمُوا فِيكِ بالنَّاسِ
يَا بَرْدَ رِيقِكِ أوْ يا حَـرَّ أَنْفَاسِي لَوْلَا ثَنَايَاكِ لَمْ أَنْشَـطْ إلَى الْكَـاسِ
وَحَـاشَا هَـوَايَ أَنْ يَكْسَـلْ عَنْ وَصْلِ الْمِلاحِ والسَّلْسَلْ

– التفاعيل:

مستفعلن فاعلن مستفعلن فالن مستفعلن فاعلن مستفعلن فالن
مستفعلن فعلن مستفعلن فالـن مستفعلن فاعلن مستفعلن فالن
فعولن متفعلن فالن فالاتن متفعلن فالن

نظم الوشاح أبيات هذه الموشحة على وزن بحر البسيط[xxv]، أما الأقفال فقد اخترع لها وزنا، مزج فيه بين أربع تفاعيل (فعولن، مستفعلن، فاعلن، فاعلاتن) غير منضبط فيها لتوزيع محدد، باستثناء الالتزام بـ (فالن) في أواخر أغصانها؛ ويدل على ذلك مجيء القفل الثاني بتوزيع تفعيلي مغاير لتوزيع القفل الأول المبين أعلاه، وفيه يقول (الملك، 2001م، صفحة 167):

سَاجِيَ الطَّرْفِ أَسْمَرٍ أَكْحَلْ إِذْ نَـرَاهُ عِـقْـدِي يَـنْـحَـلّ
فاعلاتن فعولن فالن فاعلن فعولن فـالـن

وكذلك الشأن بالنسبة إلى القفل الثالث (الملك، 2001م، صفحة 167):

أَرَانِي مَعْ قُدْرَتِـي أُخْذَلْ تَكْفِيـنِي شَمَاتَةُ الْعُـذّلْ
فعولن مستفعلن فـالن فالاتن متفعلن فالـن

وقد لحق الموشحة عدد من التغييرات العروضية[xxvi].

– الموشحة الثامنة (الملك، 2001م، صفحة 168):

جاء في مبدئها قوله:

كَلَفِـي بالْغـرَامْ خُـلُـقٌ لِلْكِـرامْ فَاعْذُرِ الْمُسْتهَامْ
وَاكْفِ قَلْبِي الْمَلَامْ مَا لَـنَـا وَالْكَـلامْ
لَسْتُ أَصْغي إلَى أَسَاطِيـرِكْ عَكَسَ الْحُبُّ حُسْنَ تَقْدِيرِكْ لِأُمُـــورٍ مُـقَـــدَّرَهْ

– التفاعيل:

فعِلُن فَاعِلَاتْ فعِلن فاعلاتْ فاعلن فاعلاتْ
فاعلن فاعلاتْ فاعلن فاعلاتْ
فاعلن مفعُلاتُ مستفعلْ فعلن مفعلاتُ مستفعلْ فـعـلاتن متـفـعـلن

اخترع ابن سناء الملك، في هذه الموشحة، وزنا عروضيا للأبيات، وآخر للأقفال؛ وقد جاءا تواليا كالآتي: (فاعلن فاعلاتن)[xxvii]، و(فاعلن مفعولاتُ مستفعلن/ فاعلاتن مستفعلن)، مع عدد من التغييرات العروضية[xxviii]. وتجدر الإشارة، هنا، إلى أن وزن الأبيات المذكور، يحيل إلى أحد الأوزان الخليلية المتمثل في بحر المديد[xxix]؛ إذ يُفترض أن الوشاح استعمله مجزوءا، لكن بحذف التفعيلة الأولى منه لا الأخيرة[xxx]، وهو الأمر نفسه الذي مر بنا في الموشحة الأولى السابقة[xxxi].

– الموشحة التاسعة (الملك، 2001م، صفحة 169):

استهلها بقوله:

قَـلْـبِـي يَـتْـعَـبْ وَمُـنَى قَلْبِي يَلْعَبْ
أَهْـوَى نَجْماً كُلُّ مَا يَهْوَى عِنْدَهْ
مَنْ لَا يُسْمَى صَيّـرَ الْمَوْلَى عبْدَهْ
أحْوَى أَلْمَى سُلْـوَتِي عَنْهُ[xxxii] رِدّهْ
أَظْـمَـا لِلْـمَـا وهْوَ قدْ أَرْوَى خدّهْ
خـدٌّ مُـذْهَـبْ لَيْسَ لِي عنْهُ مَذْهَبْ

– التفاعيل:

فَالُـنْ فالـن فـعِلَاتنْ مستفعـلْ
فالن فالن فاعلاتن مستفعلْ
فالن فالن فاعلاتن مستفعلْ
فالن فالن فاعلاتن مستفعلْ
فالن فالن فاعلاتن مستفعلْ
فالـن فالـن فاعـلاتن مستفعلْ

نظم ابن سناء الملك هذه الموشحة وفق وزن مخترع كالآتي: (فاعِلُنْ فاعلن/ فاعِلاتُنْ مسْتفعِلنْ)، شمل الأقفال والأبيات، مع بعض التغييرات العروضية[xxxiii]. ويحيل وزن الأجزاء الأوائل منها (فالن فالن) إلى بحر المتدارك، إلا أن هناك اختلافا من حيث عدد التفاعيل مقارنة بصورته المعتادة في الشعر العربي[xxxiv].

ولم يلتزم الوشاح النسق الإيقاعي المذكور أعلاه في الموشحة كاملة، بل نجد بعضا من الأجزاء الأوائل يأتي بتفاعيل عروضية أخرى بدلا من (فالن فالن). فمن ذلك قوله (الملك، 2001م، صفحة 169):

فَكَمْ أَسْأَلْ وهْـوَ مِنّـي لَا يقْبَلْ
(مفاعيلن فاعـلاتـن مستفعِلْ)
قُلْ لِلَائِمْ ضَاعَ مِنْ عِشْقِي لوْمِي
(فاعـلاتـن فاعـلاتـن مستفعِلْ)

حيث نلاحظ مجيء الجزأين الأولين بتفعيلتي (مفاعيلن وفاعلاتن) تواليا بدلا من (فالن فالن) الملتزَمَة في البيت الأول من الموشحة.

– الموشحة العاشرة (الملك، 2001م، صفحة 171):

يقول في بدايتها:

إِذَا الْحَبِيبُ جَـفَـانِي وَاصَلْتُهُ[xxxv] بِالْأَمَـانِي يَا طِيبَ وَصْلِ فُلَانِ
وَهَلْ أَنْتَ مِـنّي دَانِ وَهَـلْ أَرَاهُ يَـرَانِـي
وَهَلْ يَعُودُ كَمَا كَانْ زَمَـــــــــانْ مَـعَ فَـتَّـــــانْ

– التفاعيل:

متفعلن فعـلاتـن مستفعلن فاعلاتن مستفعلن فعلاتن
مستفعلن فالاتن متفعلن فاعـلاتـن

متفعلن فعلاتـانْ فـعـــــــولْ فعـلاتـــــــانْ

نظم ابن سناء الملك هذه الموشحة وفق الوزن الآتي: (مُسْتفْعلُنْ فاعِلاتُنْ)؛ وهو وزن مخترع إذا رجحنا أن الوشاح قد استعمل تفعيلة (مستفعلن) ذات الوتد المجموع؛ أما إذا رجحنا استعماله نظيرتها (مستفعِ لن) ذات الوتد المفروق، فالوزن يحيل إلى بحر المجتث[xxxvi] أحدِ الأوزان الخليلية الذي يتضمن هذه التفعيلة. ونشير، هنا، إلى إقحام الوشاح تفعيلة (فَعولُنْ) في وسط الأقفال.

– الموشحة الحادية عشرة (الملك، 2001م، صفحة 172):

يقول في مستهلها:

طَائرَ قلْبِي وَقَعْتَ فِي الْأَشْرَاكْ أَشْراكِ هَذِي الدُّنْيَا وَمَا أَدْرَاكْ

إيَّـاكَ وَاحْـــذَرْ غُرُورَهَـا إيَّاكْ أُفٍّ لِدُنْيَا عَنْ وصْـلـهَا أَنْهَـاكْ

كَمْ جَاهلٍ خَوَّلَتْهُ بِالْبَحْتِ نُعْـمَى

وَعَـاقـلٍ قدْ رَمَتْهُ بالْمقْتِ ظُلْـمَا

– التفاعيل:

مستعلن مفعلاتُ مفعولاتْ مستفعلن مفعولاتُ مفعولاتْ

مستفعلن مفعلاتُ مفعولاتْ مستفعلن مفعولاتُ مفعولاتْ

مستفعلن مفعلاتُ مفعولا مفعو

متفعلـن مفعلاتُ مفعولا مفعو

نُظمت هذه الموشحة وفق وزن مخترع هو (مسْتفْعِلنْ مفْعُولاتُ مفعولاتُ) يتبدى مرتين في الأقفال. أما في الأبيات فجاء مرة واحدة مع أجزاء ثوان بتفعيلة واحدة (مفعو)، وعدد من التغييرات العروضية[xxxvii]. ويقترب هذا الوزن المخترَع، شيئا ما، من بحر المنسرح[xxxviii] أحدِ البحور الخليلية.

خاتمة:

من خلال هذا التحليل العروضي لموشحات ابن سناء الملك الإحدى عشرة، يمكن الخلوص إلى جملة من المعطيات المثيرة للاهتمام؛ أولها أن هذه الموشحات لم تأت جميعها على أوزان مخترعة، بل فيها ما اختُرِع وزنه، وما لم يُخترَع؛ إذ جاء على الأوزان الخليلية المعهودة؛ فمن أصل إحدى عشرة موشحة، نجد خمسَ موشحات جاءت وفق أوزان معروفة (الوافر، والرجز، والسريع، والبسيط)، وهي: الأولى، والثانية، والرابعة، والسادسة، والسابعة؛ وهذا بالرغم من الإشارة في (دار الطراز) إلى أن مجمل هذه الموشحات جاء وفق أوزان مخترعة.

وثاني هذه المعطيات، يتمثل في استعمال ابن سناء الملك تقنيةَ الجَزْء بطريقة غيرِ التي تشير إليها كتب العروض بخصوص الشعر العمودي؛ إذ تتحقق عنده من خلال حذف التفعيلة الأولى عوض الأخيرة من الشطر، كما نجد في الموشحتين الأولى والثامنة اللتين جاءتا وفق الوزنين الآتيين تواليا: (مُفاعلَتُنْ فَعولنْ) و(فاعلنْ فاعلاتن) اللذين يحيلان إلى مجزوأيْ الوافر والمديد عن طريق حذف التفعيلة الأولى لا الأخيرة.

أما المعطى الثالث، فيتجلى في اختراع ابن سناء الملك مجموعة من الأوزان العروضية، منها ما يحيل إلى بعض الأوزان الخليلية المعروفة، ومنها ما ليس كذلك؛ وهي تسعة يمكن توضيحها فيما يأتي:

1- (فاعلاتن مستفعلن): وزن قريب مجزوء بحر الخفيف.

2- (فاعلن/ فعولن مستفعلن)

3- (فاعلن فعولن فعولن)

4- وزن يمزج بين أربع تفاعيل (فعولن، مستفعلن، فاعلاتن، فاعلن) مع إحداهن تُلتزم في الأواخر.

5- (فاعلن فاعلاتن): وزن قريب من بحر المديد.

6- (فاعلن مفعولاتُ مستفعلن/ فاعلاتن مستفعلن)

7- (فاعلن فاعلن/ فاعلاتن مستفعلن): وزن يحيل إلى بحر المتدارك من حيث جزؤه الأول.

8- (مستفعلن فاعلاتن): وزن قريب من بحر المجتث.

9- (مستفعلن مفعولاتُ مفعولاتُ): وزن قريب من بحر المنسرح.

هوامش المتن:

[i]- هو القاضي السعيد هبة الله بن جعفر، ولد بالقاهرة في منتصف القرن السادس الهجري، اختلف المؤرخون بشأن سنة ميلاده؛ حيث ذكر بعضهم سنة (545هـ)، وذكر البعض الآخر سنة (548هـ). وقد تلقى العلم على يد صناديده في عصره؛ فدرس القرآن، والحديث، والنحو، وتعلم اللغة الفارسية، وغير ذلك. وقد ترك بعد مماته سنة (608هـ)، عددا من المصنفات أشهرها (دار الطراز في عمل الموشحات) الذي نظَّر فيه لفن الموشحات شكلا وإيقاعا.

[ii]- إشباع الهاء في الكلمات الآتية: منهُ، نالهُ، تراهُ.

[iii]- (مفاعلْتن) الساكنة اللام، لحقها العصب؛ وهو زحاف يكون بتسكين الخامس المتحرك.

[iv]- العصب: إسكان الخامس المتحرك من (مفاعلَتن)؛ فتصير (مفاعلْتن).

- الحذف: حذف السبب الخفيف من آخر (فعولن)؛ فتصير (فعو).

- القصر: حذف ساكن السبب الخفيف من آخر (فعولن)، وإسكان ما قبله؛ فتصير (فعولْ) بإسكان اللام.

[v]- وزن الوافر، في كتب العروض، هو (مفاعلتن مفاعلتن فعولن) في كل شطر.

[vi]- مجزوء الوافر هو ما حُذفت منه التفعيلة الأخيرة من كل شطر؛ فصار (مفاعلتن مفاعلتن).

[vii]- وزن بحر الرجز، في كتب العروض، هو: (مستفعلن) ثلاث مرات في كل شطر.

[viii]- الترفيل: زيادة سبب خفيف على آخر (مستفعلن)؛ فتصير (مستفعلاتن).

- الحذذ: حذف الوتد المجموع برمته من آخر (مستفعلن)؛ فتصير (مستفْ).

- الخبن: حذف الثاني الساكن من (مستفعلن)؛ فتصير (متفعلن).

- الطي: حذف الرابع الساكن من (مستفعلن)؛ فتصير (مستعلن).

- وقد يجتمع الخبن والترفيل معا في (مستفعلن)؛ فتصير (متفعلاتن).

[ix]- لحقها الخبن؛ أي حذف ثانيها الساكن (السين)، والقطع؛ أي حذف ساكن الوتد المجموع منها (النون)، وإسكان ما قبله (اللام)؛ فصارت بهما معا (متفْعِلْ)، ونُقِلت إلى (فعولن) لتسهيل نطقها.

[x]- لحقها القطع فقط.

[xi]- إشباع الهاء في الكلمات الآتية: لهُ، نورهُ، خلدهُ، حسنهُ.

[xii]- الخبن: حذف الثاني الساكن من (فاعلاتن)؛ فتصير (فعلاتن).

- الحذذ: حذف الوتد المجموع برمته من آخر (مستفعلن)؛ فتصير (مستفْ).

[xiii]- وزن بحر الخفيف، كما تنص عليه كتب العروض، هو: (فاعلاتن مستَفْعِلُنْ فاعلاتن) في كل شطر.

[xiv]- مجزوء الخفيف هو ما حذفت منه التفعيلة الأخيرة من كل شطر؛ فبقي على (فاعلاتن مستفع لن) فقط.

[xv]- الحذذ، كما أشيرَ إلى ذلك سلفا، هو حذف الوتد المجموع من آخر (مستفعلن)، ولا يلحق إلا على التفاعيل التي آخرُها وتد مجموع. و(مستفعِ لن) ذات الوتد المفروق لا يمكن أن يلحقها هذا التغيير؛ لأنها غيرُ منتهية بوتد مجموع، بل بسبب خفيف (لُن)؛ لذلك لما لحق هذا التغيير (مستفعلن) في الموشحة، تبين أن ابن سناء الملك اعتمد (مستفعلن) ذات الوتد المجموع، لا ذات الوتد المفروق (مستفعِ لن).

[xvi]- تذكير بوزنه: (مستفعلن) ثلاث مرات في كل شطر. ومجزوؤه هو ما بقي على تفعيلتين في كل شطر.

[xvii]- الطي: حذف الرابع الساكن من (مستفعلن)؛ فتصير (مستعلن).

- القطع: حذف السابع الساكن وإسكان ما قبله من (مستفعلن)؛ فتصير (مستفعِلْ).

- الخبن: حذف الثاني الساكن من (مستفعلن)؛ فتصير (متفعلن).

- اجتماع الخبن والقطع في (مستفعلن)؛ فتصير (متفعلْ).

[xviii]- إشباع الهاء.

[xix]- الخبن: حذف الثاني الساكن من (فاعلن)؛ فتصير (فعِلن).

- القطع: حذف السابع الساكن من (مستفعلن)، وإسكان ما قبله؛ فتصير (مستفعِلْ) بإسكان اللام.

[xx]– وزن بحري المتقارب والمتدارك، كما تشير إليهما كتب العروض، تواليا هو: (فعولن) أربع مرات في كل شطر؛ و(فاعلن) أربع مرات في كل شطر كذلك.

[xxi]– إشباع الهاء في الكلمتين: بهِ، لهُ.

[xxii]– وزن بحر السريع، كما جاء في كتب العروض، هو: (مستفعلن مستفعلن مفعولاتُ) في كل شطر.

[xxiii]– التذييل: زيادة ساكن على آخر (مستفعلن)؛ فتصير (مستفعلان).

– الخبن: حذف الثاني الساكن من (مستفعلن)؛ فتصير (متفعلن).

– الطي: حذف الرابع الساكن من (مستفعلن)؛ فتصير (مستعلن).

– الصَّلْم: حذف الوتد المفروق من (مفعولاتُ)؛ فتصير (مفعو).

– اجتماع الطي والتذييل في (مستفعلن)؛ فتصير (مستعلان).

[xxiv]– (متفاعلن) دخلها الإضمار؛ أي إسكان ثانيها المتحرك؛ فصارت (مْتْفاعلن) بإسكان التاء. ثم الحذذ؛ أي حذف الوتد الأخير برمته منها؛ فصارت (مْتْفا) بإسكان التاء، ونُقِلَت إلى (مفعو) تسهيلا للنطق.

[xxv]– وزنه في كتب العروض هو: (مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن) في كل شطر.

[xxvi]– التشعيث: حذف الثالث المتحرك (العين) من (فاعلن)؛ فتصير (فالن)، ومن (فاعلاتن)؛ فتصير (فالاتن).

– الخبن: حذف الثاني الساكن من (فاعلن)؛ فتصير (فعلن)، ومن (مستفعلن)؛ فتصير (متفعلن).

[xxvii]– يُرَجَّح، هنا، أن يكون للأبيات وزن آخر مخترع هو: (فاعلنْ مفعولاتُ)؛ بناء على أن التفعيلة الأخيرة (مفْعُولاتُ) لحقها تغييران: الأول حذف رابعها الساكن (الواو)، ويسمى (الطي)؛ والثاني إسكان سابعها المتحرك (التاء)، ويسمى (الوقف)؛ فتصير بهما (مفْعُلاتْ).

[xxviii]– الخبن: حذف الثاني الساكن من (فاعلن، ومستفعلن، وفاعلاتن)؛ فتصير توالبا (فعلن، ومتفعلن، وفعلاتن).

– القصر: حذف السابع الساكن من (فاعلاتن) (النون)، وإسكان ما قبله (التاء)؛ فتصير (فاعلاتْ) بإسكان التاء.

– الطي: حذف الرابع الساكن من (مفعولاتُ)؛ فتصير (مفعلاتُ).

[xxix]– تشير كتب العروض إلى أن وزنه هو: (فاعلاتن فاعلن فاعلاتن) في كل شطر.

[xxx]– إذا جُزئ المديد بحذف تفعيلته الأولى؛ فسيصير وزنه (فاعلن فاعلاتن)، وهو الوزن المذكور أعلاه. وقد حسبناه مخترعا؛ لأن وزن المديد التام لم يظهر في الموشحة، فلو ظهر لأرجعناه إلى المديد غير مدعين اختراعه كما كان الشأن بخصوص الموشحة الأولى.

[xxxi]– تنبيه: تشير كتب العروض إلى أن بحر المديد من البحور التي تستعمل تامة، فلا يقبل الجزء.

[xxxii] إشباع هاء (عنهُ) في مَوْضِعَيْها.

[xxxiii]– التشعيث: حذف الثالث المتحرك من (فاعلن)؛ فتصير (فالن).

– الخبن: حذف الثاني الساكن من (فاعلاتن)؛ فتصير (فعلاتن).

– القطع: حذف السابع الساكن من (مستفعلن)، وإسكان ما قبله؛ فتصير (مستْفعلْ) بإسكان اللام.

[xxxiv]– وزن المتدارك، في كتب العروض، كما أُشير إليه سلفا، هو: (فاعلن) أربع مرات في كل شطر. ويستعمل، كذلك، مجزوءا؛ فيبقى على ثلاث في كل شطر. لكن في هذه الموشحة جِيء به على تفعيلتين فقط؛ فما هو بالتام ولا بالمجزوء؛ ومنه يمكن عَدُّ الأجزاء الأوائل منها موزونة على بحر المتدارك، وليس على وزن مخترع.

[xxxv]– إشباع الهاء في كلمتي: واصلتهُ، أراهُ.

[xxxvi]– وزن المجتث، في كتب العروض، هو: (مستفعِ لن فاعلاتن) في كل شطر.

[xxxvii]– الطي: حذف الرابع الساكن من (مستْفعلن ومفْعُولاتُ)؛ فتصيران (مستعلنْ ومفعلاتُ).

– الخبن: حذف الثاني الساكن من (مستفعلن)؛ فتصير (متفعلن).

– الوقْف: إسكان السابع المتحرك من (مفعولاتُ)؛ فتصير (مفعولاتْ) بإسكان التاء.

– الكسْف: حذف السابع المتحرك من (مفعولاتُ)؛ فتصير (مفعولا).

– الصلم: حذف الوتد المفروق من آخر (مفعولاتُ)؛ فتصير (مفعو).

[xxxviii]– وزن المنسرح، في كتب العروض، هو: (مستفعلن مفعولاتُ مستفعلن) في كل شطر. ويقترب الوزن المخترع أعلاه من وزن المنسرح هذا؛ إذ لا يبدو الاختلاف بينهما إلا من حيث التفعيلة الأخيرة؛ فهي في المنسرح (مستفعلن)، وفي الآخر (مفعولاتُ) التي وردت، بسبب التغيير العروضي، بهاتين الصورتين: (مفعولا، مفعولاتْ).

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن بسام الشنتريني. (**د. ت**). **الذخيرة في محاسن أهل الجزيزة** (الإصدار د. ط.). بيروت: دار الثقافة.

- ابن سناء الملك. (**2001م**). **دار الطراز في عمل الموشحات** (الإصدار 1). بيروت: دار الثقافة.

- أحمد الهاشمي. (**د. ت**). **ميزان الذهب في صناعة شعر العرب** (الإصدار 1). القاهرة: مكتبة الآداب.

- الخطيب التبريزي. (**1994م**). **الكافي في العروض والقوافي** (الإصدار 2). القاهرة: مكتبة الخانجي.

- عباس الجراري. (**1973م**). **موشحات مغربية: دراسة ونصوص** (الإصدار 1). الدار البيضاء: مطابع دار النشر المغربية.

- عبد الرحمن بن خلدون. (**2004م**). **المقدمة** (الإصدار 1). دمشق: مكتبة الهداية.

- عبد العزيز عتيق. (**1987م**). **علم العروض والقافية** (الإصدار د. ط.). بيروت: دار النهضة العربية.

- محمد حماسة عبداللطيف. (**1990م**). **البناء العروضي للقصيدة العربية** (الإصدار 1). القاهرة: دار الشروق.

- محمد زكريا عناني. (**1998م**). **الموشحات الأندلسية** (الإصدار د. ط.). الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

- محمد عباسة. (**2012م**). **الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها في شعر التروبادور** (الإصدار 1). مستغانم: دار أم الكتاب للنشر والتوزيع.